د/يسرى أحمد زيدان (*)

رعاية الأيتام في العصر المملوكي
(٦٤٨ - ٩٢٣م / ١٢٥٠-١٥١٧م)

تقررت رعاية الأيتام بآي القرآن الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية وعلى هذا الأساس سارت معاملة المسلمين في شتى عصورهم التاريخية لليتامى تكريما واهتماماً رعاية وعناية ، إنفاقاً وإحساناً.

وتبدو رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لليتامى في عصره جلية من خلال العديد من المواقف الكريمة ، والتصرفات النبيلة ، منها شراؤه صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنهما أرضاً بخيبر من تركه والده الشهيد عبد الله بن جحش الذي استشهد فى غزوة احد في السنة الثالثة من الهجرة فاشترى له النبي صلى الله عليه وسلم أرضاً وأقطعه داراً بالمدينة المباركة(١).

ومعنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسى مبدأ مهماً هو ضرورة تنمية أموال اليتامى وتشغيلها للحفاظ عليها، وهو الأمر الذي انتهجه صحابته الكرام من بعده، فلقد كان الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري يتجر في أموال بعض اليتامى(٢) كما شاهد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم امرأة صحابية بأسواق المدينة الشريفة وهي تتاجر في أموال يتيمتين للإنفاق عليهما(٣).

وسار المسلمون في العصر الأول من تاريخهم المبارك على هذه السياسة(٤)، حتى أسندت هذه المهمة في أواخر القرن الهجري الأول إلى القضاة، وكان القاضي عبد الرحمن بن معاوية بن حديج أول من تولى مهمة النظر في أموال اليتامى ورعايتها والقيام بشأنها(٥) واستمر إشراف

---

* أستاذ التاريخ المساعد - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

القضاة على أموال اليتامى في العصر العباسي الأول حيث أدخل القاضي خير بن نعيم قاضي الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) أموال اليتامى بيت المال، وسجل كل ما يتصل بها في سجلات خاصة بهذه الأموال(٦).

واستمر الأمر على ذلك(٧) حتى العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م) الذي شهد اهتماماً باليتامى من جانب السلاطين والأمراء ومن القضاة والفقهاء، وغيرهم، ومن عامة المسلمين وإن كانت الدولة المملوكية ممثلة في بعض سلاطينها وبعض موظفيها قد أخلت بهذا الاهتمام في بعض الأحيان.

وقد أولت الدولة المملوكية عناية فائقة بالأيتام، اشتملت حفظ أموالهم وتنميتها، والمحافظة عليها من الضياع، وتضمنت الحرص على إنشاء المكاتب اللازمة لتعليم الأيتام القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب، وتابعت هذه المكاتب، واختارت لها العلماء الأكفاء الثقات، ووفرت أدوات الكتابة والقراءة للأيتام، وحمت هؤلاء الأيتام من أي اعتداء عليهم أو ضرب لهم من معليهم، إلى غير ذلك من أمور حافظت على اليتامى وأموالهم لئلا يضيعوا في المجتمع.

حفظ أموال الأيتام وتنميتها :

عرفت إحدى المناصب الجليلة في الدولة المملوكية باسم: (نظر الأيتام) أو باسم (نظر ديوان الأيتام). وهي وظيفة من الوظائف المهمة في الدولة المملوكية، ومن ثم وصفت بأنها من (المناصب الجليلة في الدولة)(٨) وهي: الحسبة ونظر الزكاة، ونظر الأيتام. وتولى هذه الوظيفة قضاة عدول، توافرت لهم صفات معينة من الكفاءة والأمانة والزهد، وكان أغلبهم من مشاهير الفقهاء، وأماثل القضاة، كما كان أغلبهم أثرياء لئلا يتطلعوا إلى ما تحت أيديهم من مال. ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة في دمشق: الفقيه تاج الدين أبو الفضل يحي بن محمد المعروف بابن الجنوبي، والمنعوت بالتاج، وتوفي سنة (٦٧١هـ / ١٢٧٢م). وكان من أعيان دمشق، وكان محدثاً، ليس هذا فحسب، وإنما كان (من بيت حديث)(٩) ومنهم: العدل الرئيسي نفيس الدين أبو الفدا، إسماعيل بن محمد الدمشقي، وتوفي سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) وكان محدثاً ذا ثروة (وله دار مليحة وقفها دار حديث)(١٠).

ومنهم: أبو المحاسن يوسف القونوي ، قاضى القضاة، شيخ الشيوخ، بقية السلف (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) وتولى منصب نظر الأيتام بدمشق، وكان عفيفاً عن أموال اليتامى، معطاء لم يسبقه أحد من القضاة في مثل عطائه (وأقام في الأيتام أتم قيام، وأما الصدقات فلم يفرق أحد قبله مثله ولا يلحقه أحد بعده)(١١).

ومنهم: عالم الحجاز ورئيسه إبراهيم بن علي بن محمد، ابن ظهيرة (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) الذي وصف بأبي الفقراء والضعفاء والأيتام[١٢]، والذي تولى قضاء مكة والخطابة بها والنظر في مصالح المسجد الحرام فاجتهد اجتهاداً تاما في مصالح المسجد الحرام، وأظهر مبالغة عظيمة (في حفظ أموال اليتامى)[١٣].

وبعد فما تقدم نماذج – فقط – ممن تولى رئاسة ديوان الأيتام[١٤]، وممن وثقت بهم الدولة المملوكية فأسندت إليهم هذه المهمة الخطيرة، ثقة في كفاءتهم ودينهم وورعهم فكانوا على مستوى المسئولية وأدوا واجبهم بإخلاص وأمانة. وقد عاون متولي النظر في ديوان الأيتام قضاة آخرون لا يقلون كفاءة ولا أمانة عن رؤساء هذه الوظيفة من القضاة أو من قضاة القضاة، ومن الوظائف المعاونة: وظيفة المشرف بديوان الأيتام، وواضح أن من مهام هذه الوظيفة الإشراف على أداء هذا الديوان لمسئوليته واختصاصاته ويتبين من المصادر أن وظيفة المشرف تلت وظيفة ناظر ديوان الأيتام، وممن باشر المشرف بديوان الأيتام: نجم الدين بن أبي الطيب وتولى هذا المنصب سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م بدمشق[١٥]. ومن الوظائف المساعدة لمتولى ديوان الأيتام أيضاً: الكاتب أي المحرر[١٦] الذي يكتب أسماء اليتامى، ونصيب كل منهم في الديوان، وقيمة الأموال الصادرة من الديوان لأي سبب من الأسباب – التي سيأتي ذكرها – وعدد الأموال الواردة إلى هذا الديوان، وغير ذلك من كتابات هدفها ضبط مالية الديوان وحساباته.

ومن هذه الوظائف المعاونة أيضاً لرئيس. ديوان اليتامى: وظيفة الشهود بالديوان، الذين يشهدون على كافة أعمال الديوان المالية.

وأبرز الشهود في ديوان الأيتام عصر المماليك: الشيخ الأمين العدل مخلص الدين أبو المكارم الدمشقي (خدم في ديوان الأيتام شاهداً)[١٧] وتوفى سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م والشيخ الصدر الكبير نجيب الدين أبو محمد بن عبد الله بن نجيب المتوفى بالقاهرة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م والذي كان شاهداً بديوان الأيتام[١٨].

هذا وقد عرف ديوان الأيتام في بعض الأحيان بـ (مخزن الأيتام)[١٩] أو بـ (مودع الأيتام)[٢٠] وأحياناً بـ (مودع الحكم)[٢١]. وقد تحدث المقريزي عن (خان مسرور)[٢٢] بالقاهرة الذي أقيم به فندق مسرور الكبير، وأدركه المقريزي وهو في غاية العمارة، تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم ثم قال: (وكان فيه أيضاً مودع الحكم الذي فيه أموال اليتامى والغياب، وكان من أجل الخانات وأعظمها)[٢٣].

كما أطلق على المشرف بديوان الأيتام أحيانا (أمين الحكم)[٢٤] أو (الأمين على أموال اليتامى)[٢٥].

ومن خلال استقراء المصادر المملوكية يبدو أن مصطلح (مودع الأيتام) و(أمين الحكم) كانا خاصين بمصر[٢٦] في عصر سلاطين المماليك، وهو ما ورد النص عليه في المصادر المملوكية عند الحديث عن (ديوان الأيتام) بمصر.

وعلى أية حال فلا يوجد خلاف حول أداء هذا الديوان لوظيفته فمهامه واحدة في مصر والشام وبلاد الحجاز وغيرها، كما كانت وظيفة المشرف به هي وظيفة أمين الحكم نفسها كما ظهر من المصادر المملوكية.

وقد وقع عبء حماية أموال اليتامى في (مودع الأيتام) أي (في ديوان الأيتام) على قضاة القضاة المتولين له، ثم على الموظفين التابعين لهم. فقد قام قضاة القضاة أو القضاة المسئولون عن هذا المنصب بالكشف على هذه الأموال الصادرة من الديوان أو الواردة إليها، واستيعاب كل معاملات هذا الديوان المالية وفهمها، فقام قاضى القضاة علاء الدين بالكشف عن أموال اليتامى بالديوان بدمشق وذلك فى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م وأحيط علماً بكل معاملات ديوان الأيتام في هذه السنة من خلال سجلات هذا الديوان[٢٧]. وكذلك تابع بمكة المكرمة سنة ٩٠٣ / ١٤٩٧م القاضي الزكوى لأموال اليتامى[٢٨]. وإضافة إلى هذه المتابعة الدقيقة لأموال اليتامى هناك مظاهر أخرى لحماية أموال اليتامى، قام بها القضاة، وتحملوا في سبيلها الأذى والعنت منها:

التصدي لمحاولات الاقتراض من أموال اليتامى أو التعدي عليها :

كان جل السلاطين والأمراء حريصين على أموال الأيتام، وكانت لهم صدقاتهم وأوقاتهم المرصودة للأيتام، ولعل موقف الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠/١٢٧٧م) من أحد الأوصياء على أحد اليتامى ينهض دليلاً على ذلك فلقد منع بيبرس سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م الأوصياء من التصرف وحدهم في مال اليتامى أو ضم أموال اليتامى إلى أموالهم، فلربما مات يتيم وأخذ الوصي ماله أو ربما مات الوصي فضاع مال اليتيم وأوجب الظاهر بيبرس - كما كان متبعاً - على (أمناء الحكم)- متابعة أموال اليتامى المصروفة، لأن من واجبات هؤلاء الأمناء حفظ مال اليتامى والتحقق من الأوجه المشروعة في إنفاقها. وجاء هذا المنع عندما أراد أحد الجنود التصرف في مال أحد اليتامى بحجة أنه وصيه[٢٩].

ومما يؤكد حرص الدولة المملوكية على أموال اليتامى أيضاً أنه في سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧م فى عهد قانصوه الغورى وقع والد قاضي مكة الشافعي ومتولي أموال اليتامى بها في ضائقة مالية فأخذ بعض المال من أموال اليتامى، فأمر ببيع بيوت القاضي، وبيع كتبه وقدمت أثمانها لليتامى[٣٠].

وهكذا مضت هذه السياسة الرشيدة التي انتهجها بيبرس والغورى وغيرهما من سلاطين المماليك وكذلك من أمرائهم، وكانت كفيلة بحفظ مال اليتامى.

لكن بعض السلاطين وبعض الأمراء تطلعوا لأموال اليتامى للاقتراض منها في بعض الأوقات وبسبب بعض الظروف السياسية الداخلية أو الخارجية، فوقف القضاة لهذه المحاولات، ولتلك التصرفات وموقفاً مشرفاً.

على أنه تجب الإشارة هنا إلى أن بعض القضاة سمحوا لأنفسهم أحياناً بإقراض بعض الموثوق بهم من الموسرين بعض المال من ديوان اليتامى في بعض الأوقات التي احتاج فيها هؤلاء المال من ديوان اليتامى في بعض الأوقات التي احتاج فيها هؤلاء هذا المال، ومثال ذلك أن قاضي دمنهور بمصر وغيرها من الوجه البحري، القاضي محمد بن أحمد من هبة الله (ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م) لما توجه من القاهرة لقصد الحج والمجاورة استدان من مال الأيتام بالقاهرة عشرة آلاف درهم إلى سنة (برهن وثيق وقصد بذلك خفاء أمره في الغناء وإظهار احتياجه وذلك مما يقصده العقلاء)(٣١).

ولكن هؤلاء القضاة رفضوا إقراض بعض السلاطين والأمراء من مال الأيتام حتى لا يضيع هذا المال، لعدم وجود أسباب قوية تجيز تقديم القرض وتضمن رده. إلا أن هؤلاء السلاطين أو الأمراء استمروا على موقفهم متذرعين بحجج واهية، وعلل ساقطة لتبرير سلوكهم المرفوض إسلامياً وإنسانياً. ومن بين السلاطين الذين كانوا يتطلعون للاقتراض من أموال اليتامى: الظاهر برقوق(٣٢) وابنه الناصر فرج(٣٣). وما وقع فيه هؤلاء من مخالفة شرعية يحملون تبعيتها هم وحدهم – دون سواهم – ولا ينسحب خطرهم على باقي سلاطين الدولة المملوكية الذين بلغ عددهم اثنين وخمسين سلطاناً، كما لا يشوه تاريخ الأمراء من المماليك وأمرائهم اللذين كانوا بالألوف ومعظمهم وقف عند حدود الله ولم يتجاوزوها. إن وزر تعدى بعض سلاطين المماليك وأمرائهم على أموال اليتامى – في بعض المرات القليلة قياساً إلى تاريخ الدولة ومواقفها من الأيتام – يحمله أصحابه فقط، ولا يمكن أن ينال من الدولة أو يقدح في العصر المملوكي كله وإنما ينال فقط من أصحابه.

وكان المماليك بمصر قد طلبوا في سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م من الأمراء ما وعدوهم به من النفقة، وهي مبلغ خمسمائة دينار لكل واحد، فأعطوهم مائة دينار لكل مملوك، فأبوا فقام الأمراء بالتوجه إلى (أمين الحكم) للاقتراض من مال الأيتام، فلم يسمح لهم بذلك، فنهبوا (المودع) (وكان فيه حينئذ أموال عظيمة جداً) وأخذوا ما شاءوا من مال، ذهب على الأيتام(٣٤). وحدث مثل هذا

أيضا في سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م حيث قام الوزير موفق الدين أبو الفرج والأمين ناصر الدين محمد بن الحسام بالتوجه إلى مودع الأيتام بخان مسرور بالقاهرة وأخذوا منه ثلاثمائة ألف درهم، والزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحمل تتمة خمسمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالحسينية أن يحمل مائة ألف درهم قرضاً(٣٥). وكان هذا بالقاهرة في أيام سلطنة الظاهر برقوق (٧٨٤ -٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٨م)، وفي الفترة نفسها امتحن بدمشق القاضي أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني(٣٦) لكونه امتنع من إقراض السلطان برقوق سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م من مال الأيتام، فامتحن بالعزل والسجن (ثم أطلق ولزم داره)(٣٧).

وكان قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي هو الآخر قد امتنع ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م من إقراض الأمير منطاش نائب ملطية من مال الأيتام ليستعين به على التآمر ضد السلطان الظاهر برقوق وقام الواعظ بوعظ الأمير منطاش، فلم يؤثر فيه الوعظ، فحدث ما تم ذكره من نهب هذا الأمير والوزير لمودع مال الأيتام(٣٨). وامتنع هذا القاضي مرة أخرى عن إقراض السلطان برقوق من مال الأيتام سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م ورضي بالعزل عن إقراض السلطان الذي اقترض من التجار(٣٩). ويبدو أن هذا الاقتراض في هذه السنة كان للاستعداد لملاقاة تيمور لنك الذي استولى على العراق سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م وأراد أن يتوجه نحو الشام فيها(٤٠).

وبسبب خطر تيمورلنك على الشام ومصر بعد الاستيلاء على العراق ظلم الأمير تنم(٤١) والأمير علاء الدين بن الطبلاوى(٤٢) التجار وذوي الأموال من الفقهاء وغيرهم سنة ٨٠٢هـ /١٣٩٩م وأخذ من أموال الأيتام بالشام(٤٣) وهو ما حدث سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م بمصر حيث قام الأمير يلبغا السالمي(٤٤) في سلطنة الناصر فرج (٨٠١-٨٠٨هـ /١٣٩٨م-١٤٠٥م) بتحصيل الأموال من التجار، وغيرهم برضي وبغير رضي، وامتدت يده إلى أموال الأيتام والأوقاف. وكان الغزو التيمورى للشام قد ألحق أضرارا جسيمة بأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية، ذلك أنه لم يكن تأثير ذلك الغزو مقصورا على السلطة الحاكمة فى مصر، بل امتد إلى السكان وحياتهم العامة. وكان طبيعيا أن تفرض ضرائب استثنائية على الفئات المميزة فى مصر خصوصا التجار(٤٥).

وفي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م احتاج السلطان الناصر فرج فاقترض من مال أيتام بعض الأمراء، ولكن في مقابل رهن جوهره وبعض أراضيه(٤٦).

وهناك محاولات أخرى سعي من خلالها بعض الأمراء لأخذ بعض المال من مال الأيتام عن طريق بعض الحيل والألاعيب منها: ما حدث من أحد الأمراء المعروفين – في تلك الفترة – بالظلم والجبروت وهو مستوفي الدولة(٤٧): شرف

الدين عبد الوهاب النشو الذي أراد في سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م في سلطنة السلطان محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠م)[٤٨] الاستيلاء على بعض مال اليتامى فتصدى له قاضى القضاة تقي الدين محمد الإخناني المالكي وقال له:

(السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام) فرد عليه بأن السلطان يطلب المال الذي سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها. وعن طريق هذه الحيلة تمكن النشو من أخذ بعض مال اليتامى[٤٩].

وفي سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م سعى هذا الظالم النشو بقاضي الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البليسي من أجل أنه عارضه في أخذ أموال الأيتام، واتهم النشو القاضي بأنه أخذ مالا للأيتام، فحقق في القاهرة مع القاضي المظلوم فثبتت براءته، وأفرج عنه[٥٠].

وفي سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م قام القاضي أمين الحكم بالقاهرة: بدر الدين بشراء ملك لبعض الأيتام، فحضر إليه شاد القراريط[٥١] بطلب حق الدولة من مال هذا اليتيم، فرفض القاضي، وحدث نزاع بينهما أخطأ فيه (شاد القراريط) ويدعي: (العلم) فعزره[٥٢] قاضي القضاة ابن جماعة، فسعى النشو بأمين الحكم القاضي بدر الدين إلى السلطان محمد بن قلاوون الذي أصدر أمراً بالإتيان بأمين الحكم، فأظهر سخطه على أمر السلطان متعجباً من محاولة الاعتداء على أموال اليتامى ظلماً، لكن السلطان أحضر متولي الحكم وأمر بضربه بقلعة الجبل مقر السلطة المملوكية بحجة منع الحقوق السلطانية، وألزم بتقديم عشرين ألف درهم للدولة، أدى منها خمسة عشر ألف درهم[٥٣].

هذه هي - فقط - المرات التي اعتدت فيها الدولة المملوكية أو حاولت فيها الاعتداء على أموال اليتامى، وهي مرات قليلة بالنسبة لفترة حكم المماليك، ولكنها غير مبررة، وغير مقبولة، وقد حاول القضاة منع الاعتداء على أموال اليتامى في هذه المرات فنجحوا أحياناً، ولم يوفقوا أحياناً، ولكن حسبهم ما فعلوه من أفعال، ومواقف مشرفة، تحملوا - في النهاية - تبعتها.

إن القضاة المتولين للنظر في أموال اليتامى قد أدوا ما عليهم تجاهها، وكانوا أكفأ أمناء ورعين عن الحرام. فقد توفى أحد أمناء الحكم وهو شهاب الدين أحمد بن على الزركشي فجأة، سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م لأنه وجد نقصاً في مال الأيتام بلغ خمسمائة ألف درهم، فتوفى هما وغما بسبب هذا النقص[٥٤] كما أن القاضي إبراهيم بن علي بن إسماعيل (ت٨٣٤هـ/١٤٣٠م) بالقاهرة سرق من بيته مبلغ كبير، فارتجت القاهرة، وقيل إن أموال الأيتام والودائع ذهبت،

فطلب بعض القضاة والشهود، وأشهد عليهم أنه لم يذهب من ذلك شيء ثم ذهب واستقرض مبلغاً كبيراً (ورهن أملاكه على ذلك كله حتى أداه رحمه الله)(٥٥).

وتبدو الإشارة إلى أن بعض متولي أمر اليتامى ممن تصرفوا تصرفاً غير مسئول، ففرطوا – أحياناً في مال الأيتام ومن هؤلاء القاضي محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) الذي حزن الناس لموته حزناً عظيماً لكرمه وبره ولعدم رده سائلا، لكن هذا القاضي كان في بعض الأحيان لا يجد مالاً يقدمه للسائلين، فيعطيهم من أموال الأيتام والأوقاف(٥٦). كما أن إهمال بعض القضاة أدى إلى ضياع بعض أوقاف الأيتام وحدث هذا في مصر سنة ٨٣٧هـ / ١٣٣٧م، وعوقب القاضي على تقصيره الذي استفاد منه ابنه في بيع بعض أوقاف الأيتام(٥٧). والغريب هنا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان له موقف حاسم من القاضي الحنبلي وابنه في قضية بيع بعض أوقاف الأيتام وانتهابها، مع أن السلطان الناصر نفسه أطلق يد النشو – كما مر – في الاستيلاء على أموال الأيتام.

إنماء أموال الأيتام :

أشارت المصادر المملوكية إشارات صريحة إلى دور متولي أموال اليتامى فى إنمائها عن طريق شراء أملاك لهؤلاء اليتامى ينتفعون بها أو يبيعونها فيربحون من وراء هذا البيع، وما من شك في أن وظيفة النظر في أموال اليتامى كان معناها: حفظ هذه الأموال وإنماؤها. فلم ينفق شيخ الإسلام وقاضي القضاة، خطيب الخطباء، ناظر المسجد الحرام القاضي إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) درهماً واحداً على كسوة يتيم أو نفقته من أصل ما له وإنما كانت النفقة علي اليتامى مما كان يربحه مالهم من ربح ينفق منه على مأكل ومشرب وملبس هؤلاء اليتامى، ومن ثم لم ينقص درهم واحد من أصل أموال اليتامى الذين تولى مالهم بمكة المكرمة في أيام حكم الإشراف قايتباي (٨٧٢–٩٠١هـ / ١٤٦٧–١٤٩٥م) ولقد أخبر هذا القاضي المؤرخ عمر بن فهد أنه نسي مرة أن يستثمر مال أحد اليتامى، وكان قد أنفق عليه نفقة، فلما وقف على ذلك قال: كيف أترك هذا اليتيم وحده من غير تسبب له في ماله؟؟ فعزم من ماله الخاص مالاً كبيراً تعويضاً لهذا اليتيم(٥٨). وكان هذا القاضي قد تصدى لمحاولة شمس الدين بن الزمن الشامي(٥٩) أحد خواص الملك الأشرف قايتباي الذي بني رباطاً بالمسعى وأراد أن يبني سبيلاً بالمشعر وحفر أساسه، فتصدى لهذا العمل الأخير القاضي ابن ظهيرة ومنع الفعلة من ذلك، فغضب ابن الزمن وكاتب الأشرف قايتباي وسأله أن يعزله، فأحضر القاضي ما عنده من أموال اليتامى والغياب كما هي دون أن ينقض منها درهم واحد لأنه لم يكن ينفق

على اليتامى إلا من ربح مالهم(٦٠). وذكر عن قاضى القضاة إبراهيم بن على بن محمد بن ظهيرة (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) أنه كان ينمى أموال اليتامى بالتجارة بها دون أن ينفق درهما واحدا من المال الأصلي لليتامى، بل يكون جميع ما ينفقة على اليتامى من ربح مالهم(٦١).

ووردت إشارة أخرى خاصة بأمين الحكم بالقاهرة الذي اشترى ملكاً لبعض أيتامه(٦٢). وفي ذلك مصلحة هؤلاء اليتامى. ومما سبق يتبين بعض أدوار من عهد إليهم بالنظر في أموال اليتامى في عهد سلاطين المماليك بإنمائها واستثمارها .

الحرص على تعليم اليتامى وتأديبهم :

حرصت الدولة المملوكية على تعليم اليتامى وتأديبهم حرصاً كبيرا، فأقامت لهم المكاتب للوفاء بهذا الغرض، وتخيرت أساتذة أكفاء من العلماء – وأحياناً من أعلام وأعاظم العلماء – لأداء هذا الدور المهم وأنفقت على اليتامى بهذه المكاتب، وتابعت حركة التعليم والتأديب بها. وكانت هذه المكاتب ملحقة بالجوامع والمساجد والمدارس، وأحياناً كانت منفردة عنها. وقد حاكى سلاطين المماليك الأيوبيين فى بناء المدارس لتدريس العلوم الدينية واللغوية وغيرها، وقصد السلاطين بتأسيسها التقرب إلى الله وكسب الثواب. وكانت المدارس فى ذلك العصر أشبه بجامعات، فهي معاهد للتعليم العالي. وبالإضافة إلى المدارس التي كانت تمثل نوعا من التعليم العالي الجامعي، وجدت كتاتيب ومكاتب ملحقة بالمدارس والمساجد أو منفصلة عنها لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن(٦٣) .وقد ذكر المقريزي(٦٤) أن الظاهر بيبرس عندما بنى المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة جعل بها خزانة كتب (مكتبة) تشمل أمهات الكتب في سائر العلوم، وأنشأ إلى جانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة، وأوقف على المدرسة والمكتب أوقافاً.

وبالمثل فعل المنصور قلاوون (٦٧٨–٦٨٩هـ / ١٢٧٩–١٢٩٣م) عندما أنشا المدرسة المنصورية (بين القصرين) أيضاً سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م حيث جعل بها مكتباً لتعليم الأيتام، وأوقف على مدرسته التي ضمت أيضا المكتب والبيمارستان الذي أنشأه في السنة السابقة نفسها ضياعاً وحوانيت وفنادق، وغير ذلك، (ورتب من هذا الوقف للبيمارستان ولمكتب السبيل ما يكفيه)(٦٥).

كذلك أنشأ السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦–٩٢٢هـ/١٥٠٠–١٥١٦م) مكتباً للأيتام عند مدرسته التي أنشأها بالقاهرة، وقد نزل هذه المدرسة سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، وزار المكتب وعرض الأيتام به، وأمر لهم بكسوة(٦٦).

هذه هي أبرز المكاتب التي أنشأها سلاطين المماليك. أما أمراؤهم فلم يقلوا اهتماما عنهم بإنشاء مكاتب لليتامى بل نافسوا السلاطين في هذا المجال.

ومن أبرز المكاتب التي أنشأها بمصر هؤلاء الأمراء من أجل تعليم اليتامى، ما أنشأه الأمير أرغون العلائي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م من سبيل ماء (ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم) ووقف عليه وقفاً بناحية من الضواحي[٦٧] وكذلك ما أقامه زين الدين فيروز (ت٨١٤هـ/١٤١١م) من مدرسة ومكتب أيتام بحي المغربلين بجانب باب زويلة بالقاهرة، ووقف على مدرسته ومكتبه عدة أوقاف، وتوفي قبل إتمام المدرسة (فأقر السلطان – الناصر فرج بن برقوق – ما قرره – من المصارف على الفقهاء والأيتام وغيرهم)[٦٨].

كما أنشأ الأمير الزيني عبد الرحمن بن الجيعان[٦٩] مدرسة بالقاهرة بجوار منزله بحي السبع قاعات، وأقام إلى جانبها سبيلا ومكتبا للأيتام، وأذن السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢–٨٥٧هـ/١٤٣٨–١٤٥٣م) بإقامة الجمعة[٧٠] بالمدرسة.

ومنها: المكتب الذي أقامه ناصر الدين الطواشى للأيتام بدمشق[٧١] والمكتب الذي أنشأه الأمير صرغتمش[٧٢] لليتامى بمصر(٧٣) ومكتب الأيتام الذي أنشأه الأمير جنبك الظاهري[٧٤] المتوفى سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م. ومكتب الأيتام الذي بناه الأمير جانم السيفي (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) إلى جانب منزله بالقاهرة(٧٥). ومكتب بشير الجمدار بالمسجد الحرام[٧٦]، إلى غير ذلك من مكاتب أنشأها أمراء الدولة المملوكية خاصة لليتامى لتلقي بها القرآن الكريم، وعلوم الدين، وقواعد اللغة، ومبادئ الحساب.

حياة اليتيم داخل المكتب :

كان اليتيم يلتحق بالمكتب وله من العمر خمس سنين، ويؤكد ذلك ماورد في (معجم الشيوخ) لابن فهد، وفيه أن العلامة ابن حجر – الذي كان يتيما – التحق بمكتب الأيتام بعد أن أكمل خمس سنوات[٧٧]. وكذلك التحق محمد بن أحمد بن على المالكي بالمكتب وهو فى الخامسة من عمره بالمرية بالأندلس[٧٨]. ويبدو أن هذه السن كانت مناسبة للالتحاق بالمكتب، كما يبدو أن جميع الأطفال اليتامى كانوا يلتحقون بالمكتب في مثل هذا السن أو قريب منه كما يبدو أن الأطفال اليتامى – وغيرهم – كانوا يحفظون شيئا من القرآن الكريم في بيوتهم قبل هذه السن، وقبل الالتحاق بالمكتب. ولدينا إشارة عن أحد اليتامى وهو إبراهيم بن محمد الطرابلسي (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م) الذي توفي

أبوه وهو صغير جدا، فكفلته أمه وقامت على أمره، وحفظ بعض القرآن الكريم، ثم أدخلته أمه مكتب الأيتام بحلب لناصر الدين الطوشي فأكمل حفظ القرآن الكريم كله(٧٩).

وتبدأ حياة اليتامى في المكتب مع صحوة النهار(٨٠) حيث يقوم الشيخ المؤدب بتأديبهم وإقرائهم وفي ذلك يقول ابن طولون: (يؤدبهم ويقرئهم ويكتبهم على العادة، ثم يقرأ بهم قبيل العصر مجتمعين ما تيسر من القرآن(٨١).

واختير مؤدب الأيتام بكل عناية ودقة، فهو من الفقهاء الأثبات، وأحياناً من مشاهير الفقهاء والقراء المحدثين، ونهضت المكاتب بالتعليم الابتدائي فى عصر سلاطين المماليك، ولما كانت مهمة تعليم الصغار وتربيتهم مهمة شاقة عسيرة، لذلك اشترطت فى المؤدب والعريف شروط دقيقة خاصة، منها الدين والعقل وحسن الخلق والبعد عن القسوة والعنف(٨٢). وأبرز الفقهاء المعلمين المقرئين لليتامى: الفقيه المقرىء أحمد بن أبي بكر بن يوسف القلقيلي(٨٣) السكندري الذي وصف بأنه: (كان حامل لواء الإقراء) وكان عارفاً بطرق القراءات، وقرأ عليه العلامة السخاوي. لقد كان هذا العلم المتوفى سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م يؤدب الأيتام ويقرؤهم القرآن بمكتب الجانبكية بالقاهرة(٨٤) المنسوب إلى أحد الأمراء.

وكان اليتيم يحصل على بعض المال من المكتب، ولدينا خبر عن قاضى القضاة شمس الدين أبي عبد الله الصالحي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) وكان يتيماً في صغره (فنزل في المكتب، وكان يحصل له في السنة ستون درهماً)(٨٥). كما كان يصرف للأيتام كسوة في السنة، وذكرت المصادر خبرا عن كسوة بعض اليتامى، وبلغت خمسمائة درهم(٨٦). كما كانت الأكسية تصرف لليتامى في الأعياد(٨٧). وكان المكتب يتحمل ثمن الأحبار والأقلام والدوى. فقد خصص مبلغ خمسين درهماً(٨٨) فى ثمن حبر وأقلام ودوى في احد مكاتب اليتامى.

وكان يساعد فقهاء المكاتب الذين كانوا أتقياء دينيين – غير متهمين(٨٩) بتهم تخل ودينهم وخلقهم – عرفاء(٩٠) لهم صفات المؤدبين. وقد يحدث أن يصبح اليتيم عريفا بالمكتب بعد ظهور كفاءة تؤهله لهذا المنصب، وكان القاضي عبد الرحمن بن علي التفهني يتيماً في صغره فرباه أخوه شمس الدين محمد، فلما ترعرع نزل القاهرة وترك قريته (تفهنه) التابعة للغربية، والتحق بكتاب اليتامى في المدرسة الصرغتمشية ثم أصبح عريفاً بها(٩١)، واشترط في العريف الشروط الواجب توافرها في المؤدب، لأنه يقوم بعمله أثناء غيابه، وأحيانا في حضوره من إقراء الأيتام وتعليمهم(٩٢) يبدو أن وظيفة العريف لم تكن ضرورية في المكاتب الصغيرة حيث يقل عدد الأطفال النازلين بالمكتب

فيكتفي بالمؤدب، مثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ الذي رتب خمسة وستين يتيما، منهم خمسون يتيما بجامعة، ورتب لهم مؤدبا وعريفا، الباقي وهم خمسة عشر يتيما في القلعة، فلم يرتب لهم إلا مؤدبا فقط(٩٣).

وقد أظهر عدد ضخم من اليتامى نبوغاً كبيرا، وسيأتي ذكر ذلك بدليل المكانة العلمية السامقة التي وصل إليها عدد كبير منهم، والمناصب الدينية الرفيعة التي تبوأها أكثرهم. وتشير المصادر إلى أن العلامة ابن حجر حفظ سورة (مريم) بالمكتب في يوم واحد(٩٤). وكان هؤلاء اليتامى يكتبون القرآن الكريم في الألواح، فإذا أرادوا مسحها غسلوا ألواحهم(٩٥).

ويبدو من خلال المصادر أن هناك مراقبة دقيقة لفقهاء المكاتب تبعد غير الأكفاء منهم عن التعليم في المكتب، وكان المحتسب(٩٦) يقوم بهذه المراقبة وأحياناً يعهد إلى أحد الفقهاء المؤدبين بها القيام بذلك، وورد أن الفقيه المؤدب أحمد بن حسن الشهاب القاهري (ت ٨٣١هـ / ١٤٢٧م) نظر في فقهاء المكاتب لإقراء الكفء الدين، ومنع غير الكفء منهم(٩٧).

ولم يحدث لليتامى بالمكاتب أي ضرر بالغ أو أية مشكلة كبيرة بسبب السياسة الرشيدة بهذه المكاتب، باستثناء واقعتين اثنتين(٩٨) وقعتا لبعض هؤلاء اليتامى:

الأولى: ووقعت سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م بالقاهرة وفيها سقطت إحدى منارتي مدرسة السلطان حسن (٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦٠م)، فمات بسببها ثلاثمائة يتيم كانوا بمكتب اليتامى الملحق بالمدرسة، إضافة إلى بعض من كان يمر بالمدرسة من المارة(٩٩). وواضح من هذا الخبر المفجع عدد اليتامى الكبير في هذا المكتب وحده من مكاتب القاهرة الكثيرة، فضلاً عن مكاتب مصر كلها، وغيرها من أنحاء العالم الإسلامي. ويذكر هنا أن الذي كان يتحكم في عدد الطلاب في المدارس والمكاتب، أو قلتهم شهرة المعلم نفسه في الوسط التعليمي(١٠٠).

والواقعة الثانية والأخيرة حدثت سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م وفيها قام مؤدب الأيتام بمدرسة السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٥م) الفقيه ابن موسى الظاهرة بضرب أحد أيتام المكتب ضرباً مؤلما، فاشتكي اليتيم للمحتسب ما وقع له من ضرب -لم تبين المصادر سببه- فقام المحتسب باستدعاء الفقيه، وضربه تحت رجليه، ثم أمر بحبسه، فهرب من محبسه واشتكى المحتسب إلى القاضي كاتب السر(١٠١)، وكان مع الفقيه المؤدب أيتام المكتب، فقدم القاضي بعض المبالغ للأيتام وللفقيه المؤدب واسترضاه، فعاد إلى مباشرة عمله بالمكتب(١٠٢).

ويستفاد من الواقعة السابقة بعض الأمور: منها دور المحتسب في مراقبة مكاتب اليتامى، ومنها سماع المحتسب لشكوى اليتامى، ومنها وقوف اليتامى إلى جانب مؤدبهم الفقيه ابن موسى، مما يبين منزلته عندهم ومحبتهم له، ومنها دور القاضي كاتب السر في معالجة الأمور بلطف واسترضاء الفقيه واليتامى معاً. ويلاحظ أنه عندما كان يتولي منصب الحسبة شخصية تتصف بالنزاهة والعدل تفرح العامة فرحا كبيرا، ويبالغون في إشعال الحوانيت بالقناديل والشموع احتفالا بمرور المحتسب الذي يحظي بشعبية بالغة بينهم(١٠٣).

وفيما عدا هاتين الواقعتين لم أعثر في المصادر المملوكية(١٠٤) – وما أكثرها – التي اطلعت عليها على أية متاعب أو صعوبات وقعت لليتامى في دار العلم التي يتعلمون فيها من صحوة النهار حتى العصر(١٠٥)، ويقضون فيها معظم أوقاتها، في التأدب والتعلم.

وهكذا تبين لنا مما سبق الوجه المشرف لسلاطين المماليك وأمرائهم في إقامة المكاتب والوقف عليها، والإنفاق علي اليتامى بها. والحقيقة أن معظم السلاطين والأمراء كانوا حريصين على إنشاء المكاتب في أنحاء العالم الإسلامي كله، وعلى تجديد ما تهدم منها أوكاد ينهدم، وكان السلطان منصور لاجين (٦٩٦–٦٩٨هـ / ١٢٩٦–١٢٩٨م) قد أمر في سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م بتجديد عمائر جامع أحمد بن طولون، ووقف عليه أماكن من الجيزة، ورتب فيه الدروس في الفقه على المذاهب الأربعة وكذا الدروس الطبية، وجدد مكتب الأيتام بمسجد أحمد ابن طولون(١٠٦). كما أنشأ السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤–٨٠١هـ/ ١٣٨٢–١٣٩٨م) بقلعة الجبل عدة منشآت خيرية، منها سبيل، وصهريج، ومكاتب لليتامى، وأرصد عدة أوقاف عليه(١٠٧). كذلك كان للسلطان قايتباي مدرسته التي أنشأها والتي أقام بها مكتبا للأيتام(١٠٨). ويذكر هنا أن الأمير جانبك الجداوي(١٠٩) أنشأ بالقاهرة مدرسة سنة ٨٦٤/١٤٥٩م خارج باب القرافة، بها مكتب للأيتام وسبيل وحوض للبهائم، وغير ذلك (مما يزيد مصروفه الشهري على ثلاثين ألف درهم)(١١٠). ومن المبلغ السابق يظهر لنا مقدار ما كان ينفقه هذا الأمير على هذه المشروعات الخيرية وبخاصة على مكاتب الأيتام.

لقد كان تأديب الأطفال يتم على قدم وساق في المسجد الحرام(١١١) وبمكاتب الأطفال به(١١٢) وبالمسجد النبوي(١١٣) وفي بلاد الشام(١١٤) واليمن(١١٥) فضلا عن مصر التي سبق الحديث عن مكاتب الأيتام بها(١١٦).

توزيع الأموال على اليتامى :

يأتي توزيع الأموال وتفريقها على اليتامى في الدرجة الأخيرة من دور الدولة التي عليها أن تهتم أولاً بحفظ ما لدى اليتامى من مال، وبإنمائه واستثماره، وبتعليم اليتامى والإنفاق على تعليمهم ثم الإنفاق العام على هؤلاء اليتامى. واشتهر سلاطين المماليك وأمراؤهم بهذا الجانب الإنساني المتمثل في بذل الأموال وإغداقها على هؤلاء اليتامى. وعلى سبيل المثال كان الظاهر بيبرس ينفق على يتامى الأجناد ما يكفيهم ويسد حاجاتهم بالرغم من كثرة عددهم(١١٧). وكانت له صدقاته السنوية التي يفرقها على الفقراء والمساكين وغيرهم(١١٨).

وقد لاحظ ابن بطوطة الرحالة الشهير (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٥م) سخاء سلاطين المماليك وأمرائهم على الأيتام وذكر أن الأمير (طشط)(١١٩) كان من خيار أمراء الناصر محمد بن قلاوون – الذي زار ابن بطوطة مصر في أيام حكمه وأثنى عليه – وأن له الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن)(١٢٠).

كما وردت إشارة عن صدقات السلطان الظاهر برقوق على العجزة والأرامل واليتامى(١٢١).

أقول: إن اليتامى في عصر المماليك لم يضيعوا في المجتمع ولم يشعروا بالدونية عن غيرهم، بل كان لديهم ما يكفيهم وكانوا يشعرون بدورهم في المجتمع ويشاركون في أحداثه وشئونه واستشهد – دليلا على ما أقول – بواقعه بدمشق حدثت سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م إبان ترميم الحائط القبلي بجامع دمشق، حيث وجد أحد الصبية الأيتام العمال وهم يبنون حائط المسجد الأمور وكان لديه سبعة دراهم، فذهب إلى جده وأخذ منه من ماله ثلاثة دراهم أخرى واشترى بالعشرة دراهم طعاماً قدمه إلى الصناع والبنائين وأطعمهم إياه، فلما سمع الناس بما فعله الصبي اليتيم تنافسوا وقام كل واحد منهم بإحضار الأطعمة للصناع، تقليد لهذا اليتيم(١٢٢).

إن هذه الحادثة البسيطة لها دلالاتها المهمة، وأبعادها الكبيرة، ومغزاها القوى، وتثبت أن اليتيم كان مكرماً في عصر سلاطين المماليك، الأمر الذي جعل هذا اليتيم يجود بما في يديه، ثقة في الله أولا، وفي دولته ومجتمعه ثانياً.

وقد ساهم أفراد المجتمع المسلم في رعاية الأيتام عصر سلاطين المماليك بكفالة اليتامى، وبإنشاء المكاتب، وبالوقف عليها، أو بالوقف العام على

شؤون اليتامى، واستوى في هذا الأمر الرجال والنساء على السواء ومن هذه الأخبار المتصلة بدور الأفراد ما ذكره الصفدي من قيام الفقيه العدل تاج الدين أبي العباس (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) من كفالة الأيتام بمصر(١٢٣). وما ذكره ابن حجر(١٢٤) من قيام التاجر المصري المشهور أبي بكر بن علي بن أحمد (ت ٧٨٧ هـ/١٣٨٥ م) رئيس التجار في عصره من كفالة العلامة ابن حجر اليتيم في صباه الذي يقول: (فنشأت عنده مدة إلى أن مات وأنا مراهق). ومنها أيضاً قيام بعض أفراد المجتمع بإنشاء المكاتب والتعليم بها. ولدينا خبر عن قيام الفقيه المؤدب شهاب الدين أبي العباس الصالحي (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) بإنشاء مكتب له بدمشق والتعليم به(١٢٥). كذلك قامت السيدة العالمة الفقيهة أم الحسين (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) بنت قاضي مكة شهاب الدين أحمد بإنشاء مكتب للأيتام بمكة ووقفت على ذلك وقفاً كافياً بمكة أيضا، فضلاً عن مآثرها الأخرى بالبلد الحرام(١٢٦). وقام بعض الأفراد بتقديم الدوى والمحابر والاقلام والصدقات والإحسان إلى اليتامى بمكاتبهم طلبا للآجر والمثوبة. وقد اشتهر محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٨٤هـ/١٤٧٩م) بهذا الأمر(١٢٧). كما أوقف أفراد المجتمع الإسلامي في عصر المماليك أوقافاً على اليتامى للإنفاق منها عليهم، من ذلك وقف بلقيس (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) بنت نائب الشام حاتم بن عبد الله التي أوقفت وقفاً على سبعة أيتام بمكة(١٢٨) ضمن ما أوقفته من أوقاف خيرية. ومن هذا الوقف أيضاً وقف بيت الشريفة بمكة المكرمة الذي أصبح مدرسة ورباطاً وسبيلاً ومكتباً للأيتام(١٢٩) .

وشارك الأمراء أفراد المجتمع الإسلامي في الوقف على الأيتام بصفة خاصة، فلقد أوقف الأمير شيخ سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م جميع أملاكه على ذريته، وعلى جهات البر التي منها وقفه على عشرة أيتام في كل من الحرمين الشريفين وعلى مؤدب يؤدبهم ويقرؤهم القرآن الكريم(١٣٠). وكان لأوقاف الأيتام خاصة قاض يشرف عليها ويحفظها ويدير شئونها(١٣١).

وهكذا كان لأفراد المجتمع الإسلامي دور في كفالة الأيتام(١٣٢)، وفي إقامة مؤسسة التعليم لهم ممثلة في المكاتب، وفي الإنفاق على اليتامى وفي وقف الأوقاف ورصدها عليهم، وما تقدم أمثله – فقط – تبين هذا الدور. وبذلك يكون اليتامى الأثرياء قد وجدوا العناية اللازمة من الدولة لحفظ مالهم ويكون اليتامى الفقراء قد وجدوا أوقافاً ينفق منها عليهم، ويكون الفريقان معا قد وجدوا المكاتب التي تقوم بتأديبهم وتعليمهم وتثقيفهم.

أبرز اليتامى الأعلام من العلماء :

نبغ عدد كبير من اليتامى في عصر سلاطين المماليك، فأصبحوا قمما في علومهم أئمة في معارفهم، طبقت شهرتهم الآفاق بما ألفوا وصنفوا من كتب

وبما نشروا من علم، وبما تبوأوا من مناصب مرموقة، وبما أسدوا للمسلمين من خدمات مختلفة، ويأتي على رأس هؤلاء الأعلام النابغين.

أ- شيخ الحفاظ ابن حجر :

شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، بل حافظ الدنيا مطلقاً(١٣٣)، قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) نشأ يتيماً حيث توفي والده سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م وكان ابن حجر في الرابعة من عمره، فرعاه التاجر المشهور أبو بكر على الخروبي بوصية من والد ابن حجر، فنشأ عنده إلى أن مات التاجر الذي كان حافظاً لكتاب الله، ولبعض علوم الدين(١٣٤). وقد دخل ابن حجر مكتب اليتامى وهو في الخامسة من عمره، ورزقه الله سرعة الحفظ، بحيث حفظ سورة مريم في يوم واحد(١٣٥). وقد برع ابن حجر في الحديث النبوي، والتاريخ، والأدب والشعر، وله مؤلفات قيمة، وآثار حسنة منها : «فتح الباري شرح صحيح البخاري» و«الإصابة في تمييز الصحابة» و«إنباء الغمر بأبناء العمر» و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» و«رفع الإصر عن قضاة مصر».

ومن وظائفه التي شغلها إضافة إلى التدريس والإفتاء والخطبة وظيفة القضاء التي تولاها بمصر في سلطنة الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ /١٤٢٢-١٤٣٧م) سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م.

وابن حجر - رحمه الله نموذج مشرف لليتامى الأعلام.

ب- حافظ بلاد الشام إبراهيم الطرابلسي :

الإمام العلامة الحافظ حافظ بلاد الشام إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الأصلي الحلبي المولد، أشهر من أن يوصف، توفي والده وهو صغير، فكفلته أمه، وانتقلت به إلى دمشق، ثم رجعت به لحلب وأدخلته أحد مكاتبها بالنشابين وكان لناصر الدين الطوشي، فحفظ به القرآن الكريم، ثم انكب على الحديث النبوي، وخصه باهتمامه حتى أصبح حجة بلاد الشام في الحديث(١٣٦).

وهو نموذج آخر فريد لليتامى الأعلام، وقد توفي حافظ بلاد الشام سنة٨٤١هـ/ ١٤٣٧م.

جـ- الفقيه عبد الرحمن التفهني :

الفقيه القاضي عبد الرحمن بن علي التفهني (ت ٨٣٥هـ / ١٤٣١م) توفي أبوه وهو صغير فانتقل من (تفهنة) إحدى قرى إقليم الغربية بمصر إلى القاهرة

وهو شاب فالتحق بمكتب الأيتام بمدرسة صرغتمش، ثم ترقي إلى أن أصبح عريفاً في الطلبة، ولازم الاشتغال بالعلم حتى ولي تدريس المدرسة الصرغتمشية بالقاهرة، وأصبح مفتياً مجيدا، وانتهت إليه – في وقته – رئاسة أهل مذهبه الحنفي، وقد فوض إليه قضاء الحنفية بمصر سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م فباشرها مباشرة حسنة(١٣٧). وهو نموذج آخر جميل لليتامى الأعلام.

د- القاضي شمس الدين الصالحي :

قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم الصالحي (ت ٧٢٧هـ) كان أبوه رجلاً صالحاً من أهل القرآن، وتوفي سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م تاركاً ثلاثة أولاد وأمهم دون أن يترك لهم شيئا فنزل اليتيم محمد في أحد مكاتب دمشق لتلقي القرآن الكريم ومبادئ العلوم الإسلامية والحساب، وكان يحصل في السنة من المكتب على ستين درهما، كانت قوت الأربعة ولما كبر نشأ نشأة مباركة فاشتغل بالعلم وسماع الحديث بمكة والمدينة والشام، حتى برع في الفقه والحديث، فطار ذكره، وانتشرت شهرته، ثم تولى القضاء بالصالحية سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م فباشره أتم مباشرة، وعمر الأوقاف (وحصل بولايته خير كثير)(١٣٨). وهذا نموذج آخر طيب لليتامى الأعلام.

هـ - الشيخ بن على الأندلسى :

من النماذج التي برزت في عهد سلاطين المماليك وكانوا يتامى في صباهم الشيخ عمر بن علي بن أحمد الأندلسي (ولد سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) وكان أبوه مقرئاً للقرآن الكريم بالأندلس ثم قدم القاهرة وتوفى والشيخ عمر يبلغ سنة واحدة من العمر، فكفله الشيخ عيسى المغربي أحد الصالحين الحافظين لكتاب الله فلقنه القرآن والعلم، حتى بز في الفقه(١٣٩).

و- الشيخ محمد الدلجى :

من هذه النماذج المشرفة أيضاً : الشيخ الفقيه محمد بن محمد الدلجي (ولد ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) بإحدى قرى مصر وتدعى (دلجة) فنشأ بها يتيماً وحفظ بها القرآن الكريم، ثم تحول مع عمه إلى القاهرة فقطن الأزهر، وأقبل على العلم إلى أن أصبح عالماً في الفقه وباقي علوم الدين(١٤٠).

ز- الفقيه احمد الحريرى :

ومنها كذلك الفقيه أحمد بن أحمد الحريري الدمشقي (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م) كان أبوه يعمل بالتجارة في الحرير، وتوفي وابنه أحمد صغير فتربي يتيماً فاشتغل بالعلم وتفقه وسمع الحديث وقرأه على العديد من المشايخ حتى أصبح

حجة في الفقه والحديث، وولي قضاء بعلبك سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ثم ولي قضاء المدينة بعد سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م ثم ولي قضاء صفد وغزة والقدس، ويقول عنه ابن حجر : (اجتمعت به وكان بيننا مودة)(١٤١).

ح - الفقيه احمد بن إبراهيم بن نصر :

يعد هذا الفقيه اللغوي من فضلاء الأعلام اليتامى، فقد ولد سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م بالقاهرة ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فى مدة رضاعة الفقيه احمد، فحفظ القرآن وجوده وتعلم الفقه والتفسير والعربية والتاريخ والميقات، وأصبح علما فى الفقه واللغة بصفة خاصة، وقد أقبلت عليه الدنيا فاستغل ذلك فى عمل الخير وأنشأ مسجدا ومدرسة وسبيلا وغير ذلك من قربات. وتوفى سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م. ويذكر الحلبي(١٤٢) أن ترجمته تحتمل مجلدا كاملا.

ط- الفقيه على بن عمر المدني:

نشأ هذا الفقيه يتيما، فقد ولد بالمدينة المنورة سنة٨٦٥هـ/١٤٦٠م وتوفى والده ولم يكمل نصف سنة، فنشأ يتيما وأخذ العلم فى صباه وشبابه، وممن أخذ عنهم المحدث والمؤرخ السخاوى، وتوفى الفقيه على شابا فى الرابعة والعشرين عن خاتمة حميدة(١٤٣).

وبعد ... فما تقدم ترجمة لبعض اليتامى الأعلام الذين كان لهم ذكر في دولة سلاطين المماليك، والذين أحسن تنشئتهم وتعليمهم، وآتت هذه التنشئة السليمة، والتعليم الصحيح الثمار المرجوة والآمال المنعقدة من وراء التنشئة الواعية، والتعليم القويم.

وجملة القول أن الدولة المملوكية اهتمت باليتيم اهتماماً كبيرا، فأنشأت ديواناً خاصاً باليتامى الأغنياء لحفظ ما لهم وتنميته، وأسند هذا الديوان لثقات الفقهاء وأمنائهم ومشاهيرهم، وبعض هؤلاء الفقهاء جمع بين هذا المنصب المهم في الدولة وبين الحسبة ووكالة المال(١٤٤)، وبعضهم جمع بينه وبين ديوان الصدقات والمساجد(١٤٥)، وبعضهم جمع بينه وبين النظر في أوقاف أموال اليتامى والغائبين(١٤٦)، وبعضهم جمع بينه وبين الإشراف على الربط، وبعضهم جمع بينه وبين النظر في الجوامع والمساجد ومنها المسجد الحرام(١٤٧)، ثقة في هؤلاء الفقهاء القضاء المتولين لشئون الأيتام، وقد اجتهد هؤلاء الفقهاء القضاة في حفظ أموال اليتامى واستثمارها، وكانوا جميعاً- إلا نفراً قليلاً جداً - قد قاموا بالأيتام أتم قيام وبالغوا في حفظ أموالهم(١٤٨).

وتحمل بعضهم التنكيل والعزل من الوظيفة بسبب عدم إقراض بعض أصحاب السلطة المملوكية في بعض الأحيان من مال اليتامى أو بسبب معارضتهم لأخذ بعض المال منه(١٤٩) بسبب بعض الظروف السياسية التي مرت بها الدولة المملوكية.

وأنشأت الدولة المملوكية بسلاطينها وأمرائها، كما أنشأ أفراد المجتمع الإسلامي برجاله ونسائه المكاتب الخاصة بتعليم اليتامى في جميع أنحاء الدولة، ووفرت لها ما يلزمها من محابر وأقلام، وأنفقت على اليتامى الأغنياء والفقراء بها، وقدمت لهم الملابس، واختارت لهم كبار العلماء لتأديبهم وتعليمهم، وكان اليتامى يقضون وقتاً طويلاً في هذه المكاتب، وأوقفت الدولة والأفراد على هذه المكاتب الأوقاف التي تضمن حسن أداء المكاتب لوظيفتها التعليمية والتربوية. وقد نبغ العديد من اليتامى في كافة علوم الدين واللغة العربية.

وبالجملة فإن اليتامى لم يضيعوا في المجتمع المملوكي، ودور الدولة في الأعم الأغلب كان ممتازا(١٥٠) موفقاً فيما عدا مرات قليلة جداً لم يكن موقف الدولة فيها مقبولاً أو مستساغا مع اليتامى.

الهوامش

١- انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ قسم١ ص ٦٤ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ١٥ وص ٤٣٠ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ١٩٥؛ ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة جـ ٣ ص ٣٧٨ ؛ الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ٢ ص ٥١ ، وراجع حتى ص ٥٢.
٢- أبو عبيدة : الأموال ص ١٣٥.
٣- أبو داود : سنن أبي داود جـ ٣ ص ١٢١، وابن كثير : مسند الفاروق جـ ١ ص ٣٤١ و ص ٣٤٢.
٤- راجع أبا عبيد : الأموال ص ٥٤٦ – ٩٤٥، ص ٥٥٥، راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٥٤، ص ٤٥٧
٥- راجع الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٢٥ وراجع من ص ٣٢٤ : والقاضي عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج تولى قضاء مصر للخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ – ٨٦هـ).
٦- راجع الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٥٥.
٧- مما يدل أيضاً على الاهتمام باليتامى قبل العصر المملوكي ما ذكره المالكي في (رياض النفوس جـ ٢ ص ١٤٥) بالمغرب من حسن معاملة الفقيه أبي عمرو هاشم بن مسرور (ت٣٠٧هـ) لليتامي حيث كان أول ما تدخل الفاكهة يقف بالمكتب الخاص بالأيتام ويقول للمعلم : أخرج إلى من عندك من الأيتام فيشتري لهم الفاكهة ويطعمهم ويدهن رؤوسهم ويقبل بين أعينهم.
٨- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ١ ص ١٣٦.
٩- راجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٤؛ والعيني : عقد الجمان جـ ٢ ص١٠٧.
١٠- راجع الصفدي : الوافي بالوفيات جـ ٩ ص ٢١٢ – ٢١٣؛ أعيان العصر جـ ١ ص ٥١٥ ؛ العيني : عقد الجمان جـ ٣ ص ٣٧٣.
١١- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ٣٦٩ وراجع من ص ٣٦٧ – ٣٧٠ .
١٢ عبد العزيز بن النجم بن فهد : بلوغ القرى جـ ١ ص ٤٥٠ ؛ راجع أيضا مثالا آخر لدى الصفدى: أعيان العصر جـ ١ ص٢٩٨.
١٣- زين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ١ ص ٧٣ وراجع حتى ص ٧٤ .
١٤- راجع للوقوف على رؤساء ديوان الأيتام من القضاة أيضاً : ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ١ ص ١٣٦، جـ ٢ ص ٣٤٩ و ص ٤٨٩ ؛ الصفدي أعيان العصر جـ ٣ ص ٢٤٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤٥ ؛ عمر بن فهد : الدرر المكين جـ ١ ص ٣٢٩ ؛ ص ٣٣٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع جـ ١، ص ٦٤.
١٥- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ٢٦٠.
١٦- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ١٩٦.
١٧- راجع ابن الجزري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٢ .
١٨- ابن الجزري : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٤٣ .
١٩- راجع الصفدي : أعيان العصر جـ ٣ ص ٢٤٥ .
٢٠- راجع المقريزي : السلوك جـ ٣ قسم ١ ص ٣٥٩ ؛ جـ ٣ قسم ٢ ص ٧٦٩، جـ ٣ قسم ٣ ص ١١٥٦؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٣٠٣ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر جـ ١ ص ١٢ وجـ ٣ ص ١٩٥.
٢١- راجع المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٩٢ طبعة بيروت.
٢٢- ينسب هذا الخان إلى مسرور أحد خدام القصر الأيوبي زمن صلاح الدين الأيوبي، وكان مسرور صاحب بر وإحسان، واختص بصلاح الدين وبني فندقاً في الخان المنسوب إليه . ويوجد بالقاهرة مكانان بهذا الاسم »خان مسرور«: الأول وهو كبير يوجد على يسار من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين والثاني والأخير وهو صغير فيوجد على يمين من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر : راجع المقريزي :

الخطط جـ ٢ ص٩٢.
٢٣- المقريزي : السابق والصفحة نفسها.
٢٤- راجع المقريزي : السلوك جـ ١ قسم ٢ ص ٥١٢ ؛ جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٥٨ ؛ ص ٤٥٩ ؛ جـ ٣ قسم ٢ ص ٥٥٦.
٢٥- راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣٧٠ ؛ السخاوى: التحفة اللطيفة جـ٣ص٤٩٧.
٢٦- استخدمت المصادر المملوكية مصطلح (مودع الأيتام) للتعبير عن المكان الذي تحفظ فيه أموال اليتامى بمصر، وعرف هذا المكان ببلاد الشام بـ(مودع الأيتام) أيضا، وبمخزن الأيتام كذلك .ولا خلاف فى عمل هذا (المودع) أو (المخزن) وإنما هما مصطلحان -فقط- للتعبير عن المكان الذي تحفظ فيه أموال اليتامى بكل من مصر والشام فى عصر المماليك.
٢٧- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ١٩٦.
٢٨- راجع عبد العزيز بن النجم : بلوغ القرى جـ ٢ ص ١٠٥٧.
٢٩- راجع المقريزي : السلوك جـ ١ قسم ٢ ص ٥١٢.
٣٠- راجع عبد العزيز بن النجم : بلوغ القرى جـ ٣ ص ١٥٦٦.
٣١- الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣٩٠ وراجع من ص ٣٨٨.
٣٢- المقريزي: المقفى جـ٥ ص ٨٠ ؛ راجع السخاوى : التحفة اللطيفة جـ١ ص ٢١٢ .
٣٣- راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص ١١٥٦.
٣٤- راجع المقريزي : السلوك جـ ٣ قسم ١ ص ٢٩١ ؛ راجع من ص ٢٩٠. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاقتراض كان لأجل المجاورة بالحرم المكي الشريف، والا فالحج ليس فرضا على غير القادرين.
٣٥- راجع المقريزي : السابق جـ ٣ قسم ٢ ص ٦٧٩-٦٨٠ وراجع ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ١١ ص٢٩٦ و ص ٣٠٣، وابن حجر :إنباء الغمر جـ ٢ ص ٣٤٤.
٣٦- باعون: لم يذكرها ياقوت فى معجمه، وهى قرية قريبة من صفد بالشام. راجع الحلبى : القبس الحاوي جـ١ ص٢٢٤.
٣٧- راجع زين الدين الحلبي : القيس الحاوي جـ ١ ص ٢٢٤.
٣٨- راجع في ذلك ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٢٩٦ ومن ص ٢٧٧ إلى ص ٣١٧، وراجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٢ ص ٣٤٤ وراجع المقريزي : السلوك جـ ٣ قسم ٢ ص ٦٧٨ .
٣٩- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٣ ص ١٩٥ .
٤٠- للوقوف على عدوان تيمورلنك في هذه الفترة راجع ابن الشحنة : روضة المناظر ص ٢٩٦ و ٢٩٧ - ٣٠٣ وص ٣٠٣ و ٣٠٤ وهذا المؤرخ ابن الشحنة معاصر لهذه الأحداث، وقد قابل ابن الشحنة بحلب تيمورلنك الذي سأله عدة أسئلة عن سيدنا على ومعاوية وعن يزيد بن معاوية راجع ابن الشحنة : السابق ص ٢٩٩-٣٠٢ .وعن قتال المماليك لتيمورلنك راجع:

The Free Encylopedia. Edit period of Burji Mamelukes.

٤١ الأمير تنم: هو سيف الدين الظاهرى برقوق، تنقل فى خدمة أستاذه إلى أن ولاه نيابة دمشق. راجع السخاوى: الضوء اللامع جـ٣ ص٤٤ -٤٥.
٤٢- الأمير علاء الدين بن الطبلاوى، هو أحد مماليك الظاهر برقوق، وينسب إلى قرية طبلاوة بالوجه البحري. السخاوى: السابق جـ١١ ص٢١٢.
٤٣- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٤ ص ٢١٠ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ٢ ص ٩٨.
٤٤- الأمير يلبغا السلمي هو أبو المعالي الظاهرى برقوق أحد مماليكه، ووصل إلى منصب الوزارة فى أثناء حكم برقوق. السخاوى : السابق جـ١٠ ص٢٨٩-٢٩٠.
٤٥- راجع محمد أحمد: فى تاريخ الأيوبيين والمماليك ص٢٥٨ .

٤٦- راجع المقريزي : السلوك جـ٣ قسم ٣ ص ١١٥٦.
٤٧- مستوفي الدولة هو الذي يضبط مالية الدولة، وينظر في مصالح الدولة المالية راجع القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٦٦
٤٨- هذه الفترة هي فترة سلطنة السلطان محمد بن قلاوون الثالثة والأخيرة، وقد تسلطن مرتين قبلها الأولى في سنة ٦٩٣ هـ وحتى سنة ٦٩٤ هـ، والثانية في سنة ٦٩٨هـ وحتى سنة ٧٠٨هـ.
٤٩- راجع المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٩٣ .
٥٠- راجع المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٣٢ .
٥١- شاد القراريط: أي صاحب وظيفة جباية بعض المال ممن اشترى أو باع ملكا، وكان هذا المكس قد ألغي سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م في عهد الأشرف شعبان بن الناصر قلاوون، راجع السخاوي : وجيز الكلام جـ ١ ص ٢٢٤ .
٥٢- التعزير شرعا تأديب لا يبلغ الحد الشرعي. المعجم الوسيط ص٥٩٨.
٥٣- راجع المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٥٨.
٥٤- راجع المقريزي : السلوك جـ ٣ قسم ٢ ص ٥٥٦ .
٥٥- السخاوى : الضوء اللامع جـ ١ ص ٨٢-٨٣ .
٥٦ راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٥ ص ١٩١ .
٥٧- راجع المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٤٢ .
٥٨- راجع عمر بن فهد : الدرر الكمين جـ١ ص ٦١٤ وراجع من ص ٦٠٦-٦١٦.
٥٩- ابن الزمن، محمد بن عمر :ولد بدمشق سنة ٨٢٤هـ ونشأ بها وعمل بالتجارة ثم نزل مصر، واختص بالأشرف قايتباى، فعينه مشرفا للعمائر بمكة والمدينة. راجع السخاوى السابق: ج٨ ص٢٦٠-٢٦٢.
٦٠- عمر بن فهد : المصدر السابق نفسه.
٦١- السخاوى: الضوء اللامع جـ١ ص٩٤ وراجع من ص ص٩٣ -٩٨ للوقوف على ترجمة هذا القاضي ورأفته باليتامى والأرامل.
٦٢- راجع المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٢ ص ٤٥٨ .
٦٣- راجع أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص١١٣-١٢١ ؛ سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك ص١٥٢-١٥٨؛ احمد بدوى: الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٣٠-٩٢.
٦٤- المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٣٧٧ -٣٧٩ طبعة بولاق وراجع : ابن عبد الظاهر : تاريخ الملك الظاهر ص ٣٤٤ .
٦٥- راجع بن الفرات : تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٩-١٠ .
٦٦- راجع ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
٦٧ المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٣ ص ٧٠٠ .
٦٨- المقريزي : السلوك جـ ٤ قسم ١ ص ٢٠٢ .
٦٩- عبد الرحمن بن الجيعان: كان ناظر الخزانة وكاتبها زمن الظاهر جقمق وتوفى ابن الجيعان سنة ٨٥٥ هـ /١٤٥١م. السخاوى: الضوء جـ٤ ص٨٥.
٧٠- السخاوي : وجيز الكلام جـ ٢ ص ٦١٤ .
٧١- السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ١٣٨ وراجع حتى ص ١٤٥ وعمر بن فهد : معجم الشيوخ ص ٤٧ وراجع حتى ص ٥٠ .
٧٢- صرغتمش: هو سيف الدين صرغتمش من مماليك الظاهر برقوق ورقاه حتى جعله نائبا على الإسكندرية. السخاوى: الضوء جـ٣ ص٣٢٢.

٧٣- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٨ ص ٢٦٧ .
٧٤- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٦٤ : راجع زين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ٢ ص ٦٧ .
٧٥- السخاوي : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٦٤ .وراجع ترجمة الأمير جانم السيفى من ص٦٤-٦٥.
٧٦- راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ٢ ص ٣١٤ .
٧٧- راجع ابن فهد : معجم الشيوخ ص ٧١ وراجع من ص ٧٠ - ٧٨ وهذا ما ذكره السخاوى (التحفة جـ٣ صـ٤٨٣ ط طرابزرنى) فى إشارة أخرى ليتيم آخر الحق بالمكتب فى سن الخامسة من عمره.
٧٨- السخاوى : السابق نفسه جـ٣ ص٤٨٣. ويذكر هنا أن بعض الصبية دخلوا المكتب فى سن السابعة. أحمد شلبي: تاريخ التربية ص٣٠٣.
٧٩- راجع السخاوي : الضوء جـ ١ ص ١٣٨ ، وراجع ابن فهد : السابق ص ٤٧ وراجع حتى ص ٥٠ .
٨٠- ابن طولون : مفاكهة الخلان ص ١٢٣ .وهذا هو ما أكدته إحدى الوثائق الموجودة بوزارة الأوقاف، وهى وثيقة رقم (١١٤٣ق) وفيها تحديد وقت تلقى العلم من قبل الواقف من صحوة النهار إلى زوال الشمس يوميا.
٨١- ابن طولون : السابق نفسه والصفحة نفسها ؛ محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ٢٧١؛ عصام جمال: دور الوقف في التعليم بمصر، ص ٧٦، ١٢٢ .
٨٢- سعيد عاشور: مصدر سابق ص ٣٦٧.
٨٣- القلقيلى نسبة الى قليقليا بين نابلس والرملة وذكرها السخاوى: الضوء جـ١ ص٢٦٣، ولم يذكرها ياقوت فى معجمه.
٨٤- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٦٤ .
٨٥- ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ١٦٢-١٦٣ .
٨٦- ابن طولون : مفاكهة الخلان ص ١٢٣ . وقد أكدت وثيقة وقف السلطان حسن علي ما كان يتقاضاه اليتامي من نفقة بالمكتب وكسوة بلغت الآلاف راجع ص ٤٠٩ بكتاب «تذكرة النبيه» جـ٣ لابن حبيب. وراجع محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٦٨؛ عصام جمال: دور الوقف في التعليم بمصر ص٧٥.
٨٧- راجع ابن إياس : بدائع الزهور جـ ٤ ص ٢٨٥-٢٨٦ .
٨٨- ابن طولون : مفاكهة الخلان ص ١٢٣ . وذكرت وثيقة وقف السلطان حسن ما كان ينفق علي المكاتب في ثمن الألواح والمداد والأقلام والدوي والحصر.راجع الوثيقة السابقة في الكتاب السابق جـ ٣ ص٤٠٩ -٤١٠.
٨٩- راجع ابن طولون : المصدر السابق والصفحة نفسها.
٩٠- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٩٨ .
٩١- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٨ ص ٢٥٢ و ٢٦٧ .
٩٢- محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٦٦؛ وعصام جمال: دور الوقف في التعليم بمصر ص ٧٥، ١٢١.
٩٣- محمد محمد أمين: المرجع السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.
٩٤- ابن فهد : معجم الشيوخ، ص ٧١.
٩٥- العيني : عقد الجمان جـ ٤ ص ٤٧٦.
٩٦- خصص ابن الأخوة الباب السادس والأربعين للحسبة على مؤدبي الصبيان .وذكر أن المحتسب عليه أن يلزم المؤدب بعدم استخدام أحد من الصبية فى حوائجه والا يضرب الصبية بعصا غليظة ولا فى المواضع التى يخشى منها حدوث مرض أو كسر، بل يضرب الأفخاذ وأسافل الرجلين. معالم القربة ص٢٦١-٢٦٢.
٩٧- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٨٠ .
٩٨- لم تنص المصادر التي اطلعت عليها- وما أكثرها- على حدوث مشكلة كبرى لليتامى بخلاف ما ذكرته، وبطبيعة الحال فإنه يمكن حدوث ضرب لبعض اليتامى فى المكتب ولكن بغير ظروف حادثة الضرب

سنة٩٠٣هـ/١٤٩٧م.

٩٩- راجع المقريزي: السلوك (حوادث سنة ٧٦٢ص٦٠) وابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ قسم١ ص٥٧٥؛ راجع السخاوي: وجيز الكلام جـ١ ص ١١٣؛ راجع حادثة أخرى يسيرة مشابهة لهذه الحادثة ، وقعت سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م لدى المقريزي: السلوك جـ ٤ قسم ٢ ص ٨٠٣. ولم تذكر الموسوعة الحرة المفتوحة مقتل الأطفال الأيتام بسبب وقوع هذه المئذنة H Sultan Hassan Mosque htt/ en. Wiki pedia, org, wiki/ Sultan Hassan Mosque Page 1 of 2.

كذلك لم يشر عبد الرحمن زكى فى كتابه (القاهرة ص١٢٧) إلى وفاة هؤلاء الأيتام عند سقوط ئذنة مسجد ومدرسة السلطان حسن.

١٠٠- راجع عبد الغنى محمود عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك. رسالة ماجستير بآداب القاهرة ص ١٦٩.

١٠١- كاتب السر وظيفة ديوانية يقوم صاحبها بقراءة الكتب الواردة على السلطان أو نائبه وأجوبتها . محمد دهمان : ولاة دمشق ص٢٩.

١٠٢- عبد العزيز بن النجم : بلوغ القرى جـ ٢ ص ١٠٥٠ .

١٠٣- راجع حياة حجي: أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ص ٦٠.

١٠٤- راجع هامش (٩٦).

١٠٥- راجع ابن طولون : مفاكهة الخلان ص ١٢٣ .

١٠٦- العيني : عقد الجمان جـ ٣ ص ٣٦٠ .

١٠٧- راجع ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ قسم ١ ص ٥٣٤ .

١٠٨ - راجع عبد العزيز بن النجم : بلوغ القرى جـ ٢ ص ١٠٥٠ ؛ راجع السخاوى : التحفة جـ٣ ص٤١٠.

١٠٩- الأمير جانبك الجداوى : أحد مماليك الظاهر جقمق وولاه نائب جدة، وأثرى فأنشأ مدرسة وكتابا للايتام. السخاوى: الضوء جـ٣ ص ٥٧-٥٩.

١١٠- السخاوي : وجيز الكلام جـ ٢ ص ٧٢٩ .وراجع فقهاء مؤدبين آخرين الفاسى:العقد الثمين جـ١ ص٤١٣و ٤٣٥ وجـ٢ ص٢٧٩ ، ٣١٤؛ جـ٤ ص٨٥ وجـ٨ ص١٧ ؛ السخاوى: الضوء جـ١ ص١٠ و٢٢ و١٧٠و ١٨١و٢٢٦و ٢٦٣و ٢٧٩؛ جـ٢ ص٢و٨و٣٦و١٠٩؛ جـ٣ ص ١٩و ٩٨و١١١؛ جـ٤ ص ٩٨-١٠٠.

١١١ - عن ذلك راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٦ وص ٤١٣ وص ٤٣٥ وجـ ٢ ص ٣١٤ وجـ ٤ ص ٨٥ و جـ ٨ ص ١٧ وراجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص١٧٠ وجـ ٢ ص ١٠٩ وجـ ٣ ص ١٠٢ وجـ ٥ ص ٨٩ وجـ ٩ ص ١٣٤ و ١٦٦و١٨٣وراجع ابن فهد : معجم الشيوخ ص ٢٢٣.

١١٢- راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣١٤ .

١١٣- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١٠ ص ٢٣-٢٤ والتحفة اللطيفة جـ ١ ص ٩٤ و ص ٤٥٣، وجـ ٢ ص ١٣٥و ص ٣٥٩ و ص ٥٠٥ .

١١٤- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ١٠ ؛ وابن فهد : معجم الشيوخ ص ٢٣٠ و ٣٧١ ؛ابن الحمصي : حوادث الزمان جـ ١ ص ٣١٧؛ ابن طولون : مفاكهة الخلان ص ١٥٩ .

١١٥- راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٣٣ .

١١٦- راجع أيضاً السخاوي : الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٢٩ و ٢٧٩ ؛ جـ ٣ ص ١١١

١١٧- ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ص ٣٠١ .

١١٨- ابن شداد : السابق والصفحة نفسها .

١١٩- الأمير طشط: هو احد أمراء الناصر محمد بن قلاوون، واسندت اليه نيابة دمشق سنة ٧٧٨ هـ، وت سنة ٧٨٤هـ. محمد دهمان: ولاة دمشق ص٢٣٥.

١٢٠- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٦٢ .

١٢١- راجع ابن إياس : بدائع الزهور جـ ١ قسم ١ ص ٥٢٥ .
١٢٢- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ٢٦٠ وراجع من ص ٢٥٨
١٢٣- الصفدي : أعيان العصر جـ ١ ص ٢٩٨ .
١٢٤ - ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٢ ص ١٩٧.
١٢٥- ابن الجزري : حوادث الزمان جـ ٣ ص ٩٧٩.
١٢٦- راجع الفاسي : العقد الثمين جـ ٨ ص ٣٣١.
١٢٧- راجع زين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ٢ ص ١١٠.
١٢٨- راجع عبد العزيز بن فهد : بلوغ القرى جـ ٢ ص ٩٨٤.
١٢٩- ابن فهد : اتحاف الورى جـ ٤ ص ٦١٩ -٦٢٠.وعن اهتمام النساء المسلمات باليتامى فى عصر المماليك راجع السخاوى: الضوء جـ١٢ ص٤٥و٤٦و٤٩و٧٠و٨٦و٩٨و١٤٧.
١٣٠- راجع المقريزي : السلوك جـ ٣ قسم ٣ ص ١١٥٩.
١٣١- راجع المقريزي : السلوك جـ٢ قسم ٢ ص ٤٤٢.
١٣٢- راجع أخبارا أخرى عند ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٨ ص ٢٥٢ ؛ وزين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ٢ ص ١٢-١٣.
١٣٣- السيوطي : طبقات الحفاظ ص ٥٥٢-٥٥٣.
١٣٤- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٢ ص ١٩٧.وراجع السخاوى : الضوء جـ٢ ص٣٦-٤٠.
١٣٥- ابن فهد : معجم الشيوخ ص ٧١ وراجع من ص ٧٠-٧٨.
١٣٦- راجع ابن فهد : السابق ص ٤٧-٥٠ .والسخاوى: الضوء جـ١ ص١٣٨.
١٣٧- راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٨ ص ٢٥٢ و ص ٢٦٧.
١٣٨- ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ٢ ص ١٦٢-١٦٣ وراجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٢٦.
١٣٩- راجع زين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ٢ ص ١٢-١٣.
١٤٠- راجع زين الدين الحلبي : السابق جـ ٢ ص ٣٤٤-٣٤٥.
١٤١- ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٦ ص ٢٤٤.
١٤٢- الحلبى: القبس الحاوى جـ١ ص١٢٢وراجع من ص١٢٠.
١٤٣- السخاوى: التحفة اللطيفة جـ٣ ص٢٤٢-٢٤٣.
١٤٤- راجع العيني : عقد الجمان جـ ٢ ص ١٠٧.
١٤٥- راجع المقريزي : السلوك جـ ١ قسم ٣ ص ٧٤١.
١٤٦- راجع السخاوي : الضوء اللامع جـ ٢ ص ١٩١.
١٤٧- راجع عبد العزيز بن النجم : بلوغ القري جـ ١ ص ٤٥٠ ؛ الصفدي : أعيان العصر جـ ٣ ص ١٤٧ ، وراجع الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٣٧٠ ، عمر بن فهد : الدر الكمين جـ ١ ص ٣٣٨ ، ؛ السخاوي: الضوء اللامع جـ ١ ص ٦٤ ، وراجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ٤٨٩.
١٤٨- راجع ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان جـ ٢ ص ٣٦٩ ،عمر بن فهد : الدر المكين جـ ١ ص ٣٢٩ ، وراجع زين الدين الحلبي : القبس الحاوي جـ ١ ص ٧٣.
١٤٩- مر تناول هذا الموضوع باستفاضة وراجع عنه أيضاً المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٣ ص ٦٧٢؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١٦ ص ٥٩ ؛ حوادث الدهور جـ ٢ ص ٤٢٨و٤٢٩و٤٩٦-٤٩٧.
١٥٠- مر نقد مخالفات الدولة المملوكية لوظيفتها مع اليتامى في بعض المرات وراجع أيضاً المقريزي : السلوك جـ ٢ قسم ٣ ص ٦٩٦.

المصادر والمراجع

اولا: الوثائق:

– وثيقة وقف الأمير السيفى الظاهرى على طلبة العلم بالحرم المكي سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، أرشيف وزارة الأوقاف بمصر رقم (١١٤٣ق) أوقاف قديمة.

– وثيقة وقف شاهين بن عبدالله على اليتامى. دار الوثائق القومية بالقلعة رقم(٦٢).

– وثيقة وقف السلطان حسن علي مصالح القبة والمسجد الجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة. نشرها محمد محمد أمين ضمن بحث «مصارف أوقاف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاون» ملحقا بالجزء الثالث من كتاب «تذكرة النبيه في أيام وبنيه» لابن حبيب. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

ثانيا: المصادر:

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٠م).

– أسد الغابة في معرفة الصحابة. طبعة دار الشعب – مصر

ابن الأخوة (محمد بن محمد ت٧٢٩هـ/١٣٢٩):

– معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد شعبان وصديق المطيعى، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦.

ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) :

– بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن بطوطة (محمد بن محمد ت ٧٧٠هـ /١٣٦٨م):

– رحلة ابن بطوطة . دار الكتب العلمية – بيروت .

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية بيروت.

– حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين . عالم الكتب، د.ت.

ابن الجزري (محمد بن إبراهيم ت ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧م) :

– تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) :

– الإصابة في تمييز الصحابة. مكتبة المثنى ببغداد – مطبعة السعادة بمصر جـ٣.

– إنباء الغمر بأبناء العمر، دار الكتب العلمية – بيروت جـ٢–٨.

ابن الحمصى (أحمد بن محمد ت ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م):

- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت.
زين الدين الحلبي (عمر بن أحمد ت ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م):
- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، تحقيق حسن إسماعيل وخلدون حسن . دار صادر .بيروت.
السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٣٩٦م):
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٤ه ؛ طبعة طرابزرنى جـ٣.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار مكتبة الحياة - بيروت.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد وعصام الحرستاني وأحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م:
ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):
- الطبقات الكبرى، دار التحرير - القاهرة.
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- طبقات الحفاظ . دار الكتب العلمية - بيروت.
ابن الشحنة (محمد بن محمد ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م):
- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد مهني، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
ابن شداد (عز الدين محمد بن علي ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م):
- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط نشر فرانز شتاير ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
الصفدي (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :
- الوافي بالوفيات، فيسبادان. جـ ٩، اعتناء فان إس.
- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق د علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر - دمشق ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م:
ابن الصيرفي (علي بن داود ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م :
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب المصرية ١٩٧٠م.
ابن طولون (محمد بن علي ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م).
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : دار الكتب العلمية بيروت.
ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) :

– الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر – الرياض.
أبو عبيدة (أبو عبيدة بن سلام ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) :
– الأموال. دار الفكر – بيروت.
العيني (بدر الدين محمود ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م):
عقد الجمان في تاريخ الزمان، تحقيق محمد محمد أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب. جـ٢و٣و٤.
الفاسي (محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م):
– العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، تحقيق فؤاد سيد ومحمد حامد الفقي ود محمود الطناحي.
– ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م):
تاريخ ابن الفرات . ج،٨ نشر قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين.
ابن فهد (عمر بن فهد، النجم ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :
– اتحاف الورى بأخبار أم القرى. جـ ٤ تحقيق عبد الكريم باز، جامعة أم القرى مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، وجـ ٣ تحقيق فهيم محمد شلتوت.
– معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهي، دار اليمامة السعودية.
– الدر الكمين بذيل العقد الثمين، تحقيق عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي بمكة ١٤٢٥هـ/١٤١٨م.
القلقشندى: (أحمد بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):
– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م.
ابن كثير (إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :
– البداية والنهاية. مكتبة المعارف – بيروت.
– مسند الفاروق. دار الوفاء – المنصورة – مصر.
الكندي (محمد بن يوسف ت في ق ٤ هـ):
– الولاة والقضاة .هذبه كست مؤسسة قرطبة.
المالكي (عبد الله بن محمد ت بعد ٤٧٤هـ / ١٠٨١م):
– رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي بيروت.
المقريزي : (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م):
– السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد زيادة ود سعيد عاشور دار الكتب المصرية.
– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نسخة طبعة بولاق وأخرى طبقة دار صادر – بيروت.
– المقفى الكبير، تحقيق مجمد اليعلاوى، حـ٥، دار الغرب الإسلامى، بيروت.

ابن النجم : (عبد العزيز بن النجم بن فهد ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م):
– بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق صلاح الدين خليل إبراهيم وعبد الرحمن حسين وعليان المحليدي، دارالقاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م مصر.
النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م):
– نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية للكتاب.
ياقوت (ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):
– معجم البلدان . دار إحياء التراث – بيروت.

ثالثا: المراجع العربية :

– أحمد أحمد بدوى: الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر.
– أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، النهضة المصرية ١٩٧٦م.
– حياة ناصر الحجى : أنماط من الحياة السياسية الاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، الكويت ١٩٩٥ م.
– سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام. دار النهضة العربية– بيروت ١٩٧٠م.
– عبد الرحمن زكى : القاهرة : تاريخها وآثارها. الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.
مجموعة من الباحثين: المعجم الوسيط ط دار الدعوة– استانبول .
– محمد أحمد دهمان: ولاة دمشق فى عهد المماليك. دار الفكر. دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
– محمد أحمد محمد : فى تاريخ الأيوبيين والمماليك. مكتبة الرشد . الرياض ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
– محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨–٩٢٣/١٢٥٠–١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية. دار النهضة العربية.

رابعا: الرسائل الجامعية:

– عبد العاطي محمود عبد الغنى : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك. رسالة ماجستير بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٥.
– عصام جمال سليم غانم: دور الوقف في التعليم بمصر «١٢٥٠–١٧٩٨م» رسالة ماجستير بمعهد الدراسات التربوية – جامعة القاهرة ٢٠٠٤م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

Wikipedia,The Free encyclopedia.

http://en.Wikipedia.org/wiki/sultan Hassan Mosque.